على ما عربته جريدة فلسطين لبعض فصول من كتاب اوشكين (البروغرام الصهيوني) يقول(٦٨) « . . . ان الصهيونيين اذ تم لهم ما يريدون فانهم لا يبقون في (أرض الميعاد) التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا ، وليست ارض الميعاد او فلسطين عندهم ما نسميه نحن الان فلسطين فقط بل هي . . . تمتد الى سوريا حتى النهر الكبير اي نهر الفرات . . » ويتساءل « . . فماذا عسى ان يفعل العرب اصحاب فلسطين من اسباب المحافظة على وطنهم واملاكهم فيه . . على جهل السواد الاعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوة مزاحميهم ، وعلى جهلهم ايضا بقوة انفسهم وبطريق الانتفاع بها . . » ومع ذلك فهو ليس مبالغا في التشاؤم « . . . لا يكاد يوجد شعب من شعوب الارض غافل عن قوته واستعداده كالشعب العربي ، فقوته واستعداده كامنان فيه كمون النار في حجر الصوان تحت الثلج . . . فمن ذا الذي يزيل او يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلد ، واين مقدحة الحديد التي تقدح النار من هذا الزند » يترك الاجابة عن هذين السؤالين الى الايام « فان الجواب عنهما احداث وافعال لا احاديث ولا كلام . . »

وتقدم محمد المحمصاني بتقريب وجهات النظر العربية في مقال له في الاقدام(٦٩)، أوضح فيه ان الجميع قد اصبح مقتنعا بخطر الصهيونية وضرورة مقاومتها « لا فرق في ذلك بين فلسطين وغيرهم من ابناء العرب ولا سيما في سوريا فانهم جميعا متكافلون في هذه المسألة حسبما يقتضيه التضامن القومي . . » الاختلاف البسيط بين الفئات حول كيفية تلك المقاومة ، ورأي المحمصاني هو « انا لسنا ازاء حركة مباراة ومنافسة ، بل حركة دفاع عن حياة عامة توجب الاخذ بكل طرق المقاومة لا فرق بين انشاء الجمعيات والنقابات وبين تأليف العصابات المسلحة . . »

لا شك ان الشهور القليلة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الاولى كانت غنية بالاحداث ، تصادمت فيها وجهات نظر ، ولعبت فيها عوامل خفية : وكان امرا غريبا ان تحمل فئة من العرب فكرة الاتفاق مع الصهيونيين وسط عداء قد استحكم منذ سنوات عديدة وبعد معرفة اكيدة ببرامج الصهيونية . قد تكون لها دوافعها الخاصة : اعتقادها بانه طالما يصعب مقاومة الخطر الصهيوني فعلى الاقل يمكن ايقافه عند حد بتقييده بشروط معينة ، وخاصة ان امام الحركة العربية مواجهة اخرى مع الاستبداد التركي. وربما كان للصهيونيين كذلك دوافعهم الخاصة نحو الاتفاق تعود الى رغبتهم في استغلال الاستياء المتزايد في الدوائر العربية ضد السياسة التركية ، وبهذه الطريقة — كما يقول (ليختهيم) السكرتير السياسي لجاكوبسون — يستحيل على الحكومة ان ترفض طلبهم بحجة انها لا تريد ان تغضب العرب .

بعض المصادر اليهودية توقع اللوم على الصهيونيين لان جهودهم قد فشلت في الوصول الى تفاهم(٧٠)، وان مرد ذلك لان المسائل السياسية لم تلمس قط خلال المفاوضات وظلت المحادثات داخل حدود الامور المادية وداخل اطار الامبراطورية العثمانية . وظل ليختهيم يلح في تقاريره الى اللجنة التنفيذية الصهيونية على نفس العبارة « . . . انه لا يمكن كسب زعماء الحركة العربية الى قضيتنا الا على اساس واحد ، هو فكرة معاهدة سلم على مقياس واسع بين اليهود والحركة العربية القومية » .

ولكن حتى لو وقعت اتفاقية سياسية دائمة مع الزعماء العرب ، هل كان بامكانها ان تهدىء مخاوف العرب ، او ان تغير مجرى الاحداث ؟ لو عقد الاتفاق فان الفائدة تعود على الصهيونيين اكثر من الوطنيين — على حد تعبير صاحب جريدة فلسطين « . . فهم لن يخرجوا قبل ان ينالوا اعترافا صحيحا بحقيقة مركزهم في فلسطين وانهم شركاء